بلا حدود

العدد 31 | يناير - مارس 2016

MEDECINS SANS FRONTIERES
أطبّاء بلا حدود

توفير الرعاية الطبية لمن هم في أمس الحاجة إليها. رعاية مستقلة، محايدة، غير متحيزة.

مشروع كوتيالا

اليمن
الاستعداد والحاجة

سوريا
الـمُغترَب

أربيل
حياة اللاجئين

٢٠١٥
عام في صور

المحتويات

3 | الأخبار الدولية
مستجدات المنظمة حول العالم

5 | في المنطقة
دعم اليمن

7 | تقرير خاص
رعاية الأطفال في مالي

9 | مستجدات الأزمة
طاقم أطباء بلا حدود في المغترب

11 | مدونة من الميدان
الحياة في مخيم للاجئين

13 | معرض الصور
ومضات من 2015

17 | رسم توضيحي
العيادات المتنقلة

أهلاً

مع نهاية كل عام يبدأ الناس باتخاذ قرارات لإحداث تغيير ما في حياتهم وفي العالم الذي يعيشون فيه، ونحن أيضاً في منظمة أطباء بلا حدود اتخذنا عدداً من القرارات، حيث سنستمر في توفير الرعاية الطبية لمن هم في أمس الحاجة إليها بغض النظر عن معتقداتهم وعرقهم وجنسهم، كما سنتابع عملنا في الوقوف شاهداً على الأحداث والتحديات التي تبرز كل يوم.

لقد كان 2015 بالنسبة لكثير من الناس العام الذي ضرب فيه زلزال مدمر نيبال، والعام الذي تفاقمت فيه الحرب السورية، والعام الذي اندلع فيه العنف في اليمن، والعام الذي أعقب الحرب على غزة، والعام الذي فارق فيه الكثيرون الحياة وهم يحاولون عبور البحر الأبيض المتوسط. لقد كان عاماً مليئاً بالمآسي والأحزان، لكنه كان أيضاً مليئاً بلحظات مفعمة الأمل.

يعاني اللاجئون القادمون إلى أوروبا من شروط معيشية صعبة لكن ورغم كل المصاعب التي تنتظرهم في هذه القارة إلا أن أكثر من 20,000 شخص نجحت منظمة أطباء بلا حدود في إنقاذهم من الغرق وإيصالهم إلى البر قد نجوا من الموت، وهذا مدعاة للفخر لكل من يدعم منظمتنا أينما كانوا.

في شهر مارس/آذار المقبل، ستكون الحرب السورية قد أتمت عامها الخامس. وغالباً ما تتحدث التقارير عن تفاقم تعقيدات هذه الحرب إلا أن احتياجات الناس لا تزال بسيطة، فأولئك الذين فروا من العنف سواء أكانوا داخل البلاد أم خارجها بحاجة إلى غذاء ومأوى ورعاية طبية، ولهذا تقوم فرقنا بدعم مرافق طبية داخل سوريا لكنها أيضاً تعمل في البلدان المجاورة لعلاج أولئك الذين التجؤوا إلى تلك الدول بعد رحلة شاقة.

لا تزال منطقة غرب أفريقيا تكافح فيروس إيبولا بعد أن ظهرت حالة جديدة في سيراليون، لكننا نقترب أكثر من النصر يوماً بعد يوم، وقد كانت كل من غينيا وليبيريا خاليةً تماماً من الفيروس عندما كتبت هذا النص. كانت التضحيات كبيرة في سبيل مكافحة هذا المرض لكننا اليوم حققنا تقدماً كبيراً عمان كان عليه الوضع قبل عام، وهذا يبرهن بأن الأمل موجود طالما أن هناك من يعمل معنا ويدعم جهودنا ويؤمن بما يقوم به.

وشكراً جزيلاً لكم على إيمانكم بعملنا..

محمد بالي
المدير التنفيذي
منظمة أطباء بلا حدود في الإمارات العربية المتحدة

WWW.MSF-ME.ORG
msfarabic | msf.arabic | msf_arabic

المكتب الإقليمي لمنظمة أطباء بلا حدود في الإمارات العربية المتحدة
صندوق بريد 65650، دبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 4579255 4 971+ بريد إلكتروني: msfuae@msf.org

مدير التحرير: سكوت هاملتون
المدير الفني: يان ستوب
تنسيق الترجمة: سيمون سطيفو
فريق التحرير: محمد بالي، أليشا تاراني، ياسمينا غراهو، أنيلا مارتين، سامح كيرلس

الطباعة: شركة الغرير للطباعة والنشر ذ.م.م.

صورة الغلاف:
أم تحمل طفلها في مركز رعاية الأطفال في كوتيالا جنوبي مالي. © يان ليبيسارت

تعمل منظمة أطباء بلا حدود في الإمارات العربية المتحدة منذ عام 1992 تحت رعاية معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان.

يا فايزر...

لماذا تبيعون لقاح التهاب الرئة الضروري لإنقاذ حياة الأطفال المحتاجين بأسعار باهظة؟

وقعوا على عريضتنا من خلال الرابط:

AFAIRSHOT.ORG

فايزر هي إحدى شركتين تصنعان هذا اللقاح.

MEDECINS SANS FRONTIERES
أطبّاء بلا حدود

الصور: ويل روز، بيتريك ويغرز، ليونورا باومان،ب.ك. لي، أوريلي بوميل

مستجدات أطباء بلا حدود حول العالم

تعمل فرق منظمة أطباء بلا حدود في المناطق المتضررة جراء الحروب والأمراض والكوارث في نحو 70 بلداً حول العالم. وتعتمد المنظمة حصراً على التبرعات الخاصة من أجل الحفاظ على الاستقلالية التامة في توفير الرعاية الطبية لمن هم بأمس الحاجة إليها، بغض النظر عن العرق أو الدين أو الانتماء السياسي. ونقدم إليكم فيما يلي مستجدات بشأن بعض مشاريعنا الطبية.

جمهورية الكونغو الديمقراطية

وباء الحصبة

اجتاح وباء الحصبة إقليم كاتانغا في جمهورية الكونغو الديمقراطية خلال عام 2015. وقد قامت منظمة أطباء بلا حدود في الفترة بين أبريل/نيسان ويناير/كانون الثاني 2016 بتلقيح أكثر من 962,900 طفل تتراوح أعمارهم بين 6 أشهر و15 عاماً، كما قدمت الرعاية لحوالي 30,000 شخص يعانون من المرض. وعلى الرغم من تراجع حدة الوباء في كاتانغا، إلا أن منظمة أطباء بلا حدود شددت على الحاجة إلى نشر اللقاح على مستوى واسع، وأثارت المخاوف حول احتمال تفشي المرض.

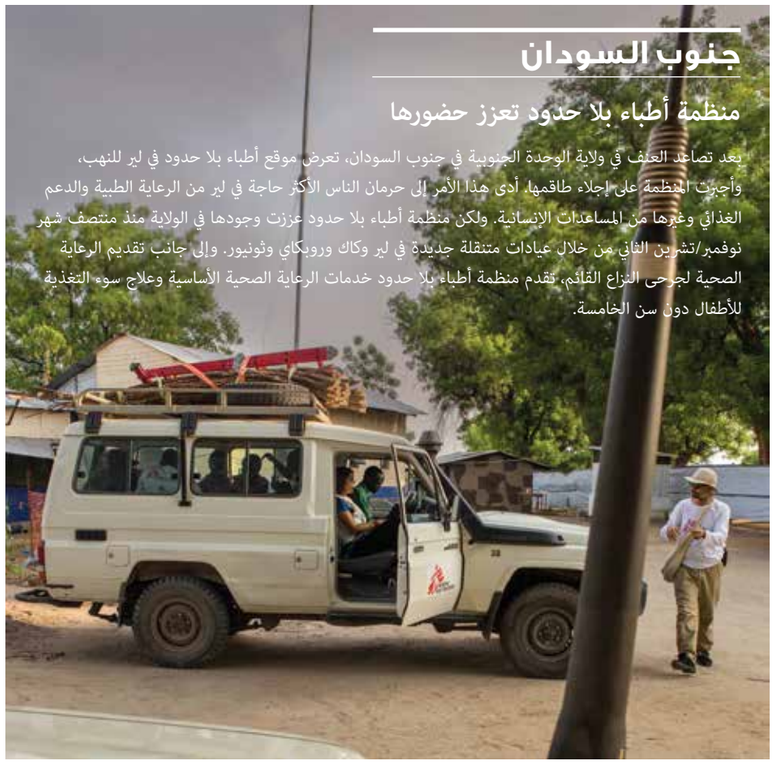

جنوب السودان

منظمة أطباء بلا حدود تعزز حضورها

بعد تصاعد العنف في ولاية الوحدة الجنوبية في جنوب السودان، تعرض موقع أطباء بلا حدود في لير للنهب، وأجبرت المنظمة على إجلاء طاقمها. أدى هذا الأمر إلى حرمان الناس الأكثر حاجة في لير من الرعاية الطبية والدعم الغذائي وغيرها من المساعدات الإنسانية. ولكن منظمة أطباء بلا حدود عززت وجودها في الولاية منذ منتصف شهر نوفمبر/تشرين الثاني من خلال عيادات متنقلة جديدة في لير وكاك وروبكاي وثونيور. وإلى جانب تقديم الرعاية الصحية لجرحى النزاع القائم، تقدم منظمة أطباء بلا حدود خدمات الرعاية الصحية الأساسية وعلاج سوء التغذية للأطفال دون سن الخامسة.

باكستان

زلزال مدمر

في 26 أكتوبر/تشرين الأول، ضرب زلزال مدمر أجزاء من شمال شرق أفغانستان وشمال غرب باكستان. واستجابة لذلك، وضعت منظمة أطباء بلا حدود على الفور خطة لعلاج الإصابات الجماعية في تيمرغارا في مقاطعة دير السُفلى في ولاية خيبر بختونخوا، حيث كان طاقم المنظمة يتبع إجراءات محددة للفرز والرعاية المنقذة الحياة للمرضى الذين يعانون من إصابات حرجة. ومن الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الإثنين حتى الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء، استقبل فريق المنظمة الطبي الذي يدير قسم الطوارئ في مستشفى تيمرغارا 172 مصاباً، كان من بينهم 55 في حالة حرجة.

البحر الأبيض المتوسط

أطباء بلا حدود وغرينبيس

في 28 نوفمبر/تشرين الثاني، أطلقت منظمتا أطباء بلا حدود وغرينبيس عمليات مشتركة منقذة للحياة في بحر إيجة. وعلى الرغم من كونها منظمة بيئية بشكل أساسي، إلا أن منظمة غرينبيس قررت العمل مع منظمة أطباء بلا حدود وهو ما تشرحه مديرة برنامج غرينبيس اليونان أليكساندرا ميساري قائلة : "نعتقد أنه يجب على كل من يستطيع تقديم المساعدة أن يفعل ذلك، وقد وضعنا ما نملكه من خبرات في المجال البحري في إطار التعاون مع منظمة أطباء بلا حدود على أمل إنقاذ حياة الناس". وعلى الرغم من برودة الطقس، إلا أن شهر نوفمبر/تشرين الثاني وحده شهد عبور أكثر من 140,000 شخص من تركيا إلى الجزر اليونانية، وذلك حسب إحصاءات المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين. وقد استطاعت المنظمتان إنقاذ حياة المئات منذ بدء العمليات المشتركة وذلك باستخدام القوارب القابلة للنفخ ذات الغطاء الصلب.

الهند

افتتاح عيادة جديدة في جاهانغيربوري، دلهي الشمالية

افتتحت منظمة أطباء بلا حدود في 5 نوفمبر/تشرين الثاني عيادة لعلاج حالات العنف القائمة على الجنس والنوع في جاهانغيربوري في القطاع الشمالي من مدينة دلهي. ستقدم عيادة "اوميد كي كيران" المساعدة الطبية لضحايا الاعتداء الجنسي والعنف المنزلي بمن فيهم الأطفال. كما تهدف العيادة إلى زيادة إتاحة العلاج النوعي، بما في ذلك العلاج الصحي النفسي. وسيعمل فريق المنظمة على زيادة الوعي ضمن المجتمعات حول أهمية الحصول على الرعاية الطبية والنفسية في التوقيت المناسب، وذلك من خلال التثقيف الصحي والأنشطة الخارجية.

العالم

فرصة عادلة

جمعت حملة "فرصة عادلة" التي أطلقتها منظمة أطباء بلا حدود توقيع أكثر من 136,000 شخص حتى الآن، وتطالب الحملة شركات الأدوية الكبرى ببيع الأدوية الرئيسية بأسعار مقبولة للمحتاجين في البلدان النامية. وعلى ضوء المليارات الثمانية والعشرين التي حققتها شركتا Pfizer و GlaxoSmithKline من المبيعات العالمية للقاح ذات الرئة وحده (وهو مرض يفتك بحياة أكثر من مليون طفل سنوياً)، فإن منظمة أطباء بلا حدود تطلب خفض سعر اللقاح إلى 5 دولارات أمريكية لتضمن حصول الأطفال في البلدان النامية على فرصة لمحاربة المرض.

فرنسا

بين حربين

بين حربين هو مشروع يعرض في باريس من 15 ديسمبر/كانون الأول حتى 17 يناير/كانون الثاني. انطلق هذا المشروع عقب الهجوم العسكري الإسرائيلي الأخير على قطاع غزة (عملية الحدود الواقية)، ويقدم أفضل نظرة ممكنة حول الاحتلال المستمر في فلسطين، بين هبّات العنف وتضاؤل الاهتمام الإعلامي. ويهدف المشروع إلى إدخال الزائر في قلب البيئة التي تعكس الحياة اليومية في فلسطين المحتلة، كما يهدف إلى إثارة التساؤلات حول دور المنظمات غير الحكومية (الدولية والفلسطينية والإسرائيلية) في دعم احتلال الأراضي الفلسطينية.

الصور: ملاك شاهر

أسرتان من ٢٣ فرداً تتقاسمان خيمة صغيرة في خمر، في اليمن.

الاستعداد والحاجة: اليمن

25 يوماً في اليمن

سافر الدكتور سامح كيرلس الذي يعمل مع منظمة أطباء بلا حدود إلى اليمن أواخر عام 2015 لتقييم احتياجات المرافق والطواقم الطبية. ورغم استمرار العنف في البلاد إلا أن الفرق الطبية اليمنية العاملة مع المنظمة لا تزال تقدم خدمات العلاج والرعاية الأساسية التي تنقذ حياة الناس.

قمت مؤخراً بأول زيارة لي إلى اليمن من أجل دعم الفريق الطبي الذي يعمل تحت ظروف في غاية الصعوبة منذ أشهر وكذلك استعداداً لدعم مستشفيات صنعاء الرئيسية خاصةً وأنه يتوقع أن يحتدم القتال في العاصمة اليمنية.

بدأت رحلتي إلى صنعاء من الشمال، إذ وصلت إلى خمر في محافظة عمران حيث قامت المنظمة بتوسيع أنشطتها القائمة استجابةً لتزايد أعداد النازحين الذين التجؤوا إلى مدينة خمر الآمنة نسبياً. يعمل مستشفى أطباء بلا حدود في عمران بطاقته الكاملة حيث تلقى أعداداً من المرضى أكبر من المعتاد خلال الأشهر الأخيرة، في حين يستمر فريق المستشفى بالاستجابة لأحداث استثنائية علاوة على مهامهم المعتادة في الجراحة والطوارئ.

أما الرحلة التي استغرقت 90 دقيقة إلى صنعاء فقد اتسمت بالهدوء نظراً لغياب أصوات القنابل والضربات الجوية والاشتباكات المسلحة، حيث منحتني الفرصة للاستمتاع بالمناظر الطبيعية الخلابة التي يتميز بها اليمن من جبال شامخة تلامس صفحة السماء الزرقاء.

تضم صنعاء الكثير من مستشفيات الإحالة لكن الموارد البشرية والطبية قليلة للغاية وتعاني العديد من هذه المستشفيات نتيجة قربها من القواعد العسكرية التي تزيد المخاطر التي يواجهها العاملون والمرضى فيها.

ولهذا اعتمدنا سياسة تقوم على تعزيز قدرات إحدى المستشفيات الرئيسية استعداداً لاستقبال حالات الإصابات الجماعية في حال وقوعها. وقد نجحنا في هذا من خلال تدريب الطاقم على كيفية استغلال مساحة المستشفى للتعامل مع التدفق المفاجئ للمرضى، وكيفية فرز الحالات وفقاً لشدتها، وتأمين مخزون احتياطي خاص للتعامل المرضى في حال استقبال أكثر من 20 حالة في الوقت ذاته.

كان بنك الدم أيضاً بحاجة إلى الدعم خاصةً وأنه كان قد بدأ يواجه نقصاً خطيراً في كواشف اختبارات الدم وأكياس الدم وحتى المساحة، إذ أنه كان قد تعرض للدمار الجزئي نظراً لقربه من أحد المعسكرات. وتمثلت استراتيجيتنا في دعم بنك الدم لتأمين المواد الأساسية في أسرع وقت ممكن ومن ثم تنظيم حملة لجمع تبرعات الدم استعداداً لاستقبال عدد أكبر من الإصابات.

استمتعت خلال إقامتي في اليمن بالعمل مع الفرق التي تواجه الضربات الجوية مساءً وتصل إلى مقر عملها صباحاً في الوقت المحدد. ينجح هؤلاء العاملون الطبيون اليمنيون في الموازنة بين العمل وبين قضاء وقت مع عائلاتهم وتوفير مكان آمن لها وسط هذا النزاع الخطير، ولهذا نجدهم يتعاونون بصورة منقطعة النظير. كذلك نراهم يحافظون على كرمهم وعاداتهم الأصيلة حتى في الوقت الذي لا يملكون فيه أبسط ما يحتاجون إليه، لكن البسمة والروح المرحة لا تفارقهم في أصعب الأوقات. كانت البسمة تعلوا وجوههم حين ودعوني، وآمل أن تبقى بسماتهم وضحكاتهم مستمرة أبداً. ■

"استمتعت خلال إقامتي في اليمن بالعمل مع الفرق التي تواجه الضربات الجوية مساءً وتصل إلى مقر عملها صباحاً في الوقت المحدد."

مدينة خمر، اليمن.

الصور: يان ليبيسارت/أطباء بلا حدود

رعاية الأطفال في جنوب مالي

مشروع كوتيالا

تعمل منظمة أطباء بلا حدود ووزارة الصحة في جنوب مالي على إكمال دائرة الوعي على مستوى المجتمع والرعاية في المستشفيات لإظهار الطريقة الفعالة للوقاية وعلاج سوء التغذية والملاريا والحصبة عند الأطفال دون سن الخامسة.

بعد تشخيص إصابة فاتوماتا، تنتظر الأم بقلق نقل ابنتها إلى المستشفى وعلاجها.

"إن إهمال العلاج، أو حالات الإصابة الشديدة، يجعل الملاريا القاتل الأكثر فتكاً بالأطفال دون سن الخامسة."

سوء التغذية مرض مستوطن في هذه المنطقة – يكون السبب أحياناً، وفي أحيان أخرى يكون من آثار أمراض الأطفال الشائعة. تلقي الملاريا بثقلها في موسم الأمطار، وتزداد معها فرص إصابة الأطفال دون سن الخامسة أكثر فأكثر.

التقينا في أحد الأيام العادية في مركز مولوبالا الصحي مع ثلاثة أطفال صغار وأمهاتهم القلقات، وهم ينتظرون جميعاً في وحدة المراقبة. رافقهم طاقم تصوير الفيلم التابع لمنظمة أطباء بلا حدود لمدة أسبوع، كل في رحلته الخاصة. وهذه قصة فاتوماتا، إحدى الأطفال الثلاثة.

فاتوماتا

بدأت أعراض الإصابة بالملاريا تظهر على فاتوماتا البالغة من العمر ثلاثة أعوام في منزلها قبل 10 أيام تقريباً قبل أن يتم نقلها إلى المركز الصحي، وشملت الأعراض الحمى والتقيؤ والإسهال. يمكن علاج الملاريا البسيطة على مستوى المجتمع هنا في جنوب مالي، ولكن إهمال العلاج، أو حالات الإصابة الشديدة، يجعل الملاريا القاتل الأكثر فتكاً بالأطفال دون سن الخامسة.

التشخيص وفرز الحالات

أظهر الفحص إصابة فاتوماتا بالملاريا، ولكن المؤشرات كانت تدل على إصابتها بالنوع الشديد من المرض؛ فهي تلهث عندما تتنفس، ومعدل نبضها مرتفع، ولونها شاحب بشكل مَرَضي. أظهرت الفحوصات انخفاضاً حاداً في عدد كريات الدم الحمراء، وقد أعطاها الأطباء ثلاث ساعات كحد أقصى قبل أن تموت إذا لم يتم نقل الدم إليها.

تم تصنيف حالة فاتوماتا كحالة طارئة في سجلات المستشفى، وقامت الممرضات بفحص عدد كريات الدم الحمراء باستخدام جهاز محمول لفحص فقر الدم. وبينما يتم الانتهاء من عملية التقييم الطارئة لحالتها الصحية، اجتمع الفريق الطبي في غرفة الطوارئ تحضيراً لرعايتها على أكثر من صعيد.

العلاج المنقذ للحياة في غرفة الطوارئ

في غرفة الطوارئ، كان على الدكتور كانونتي أن يتعامل مع درجة الإصابة عند فاتوماتا، حيث أدت الملاريا إلى تعطيل وظائف الأعضاء، وبالأخص الكليتين والدماغ، إضافة إلى نقص كريات الدم الحمراء. قاومت فاتوماتا المنهكة بسبب الملاريا محاولات إعطاء الأوكسجين لها وهو أحد عناصر الرعاية الداعمة، وتم إعطاؤها العلاج وريدياً وبدأت التحضيرات لعملية نقل الدم.

زمرة الدم "O" المطابقة لدم فاتوماتا

يعتمد نقل الدم إلى فاتوماتا على الاحتياطات المتوفرة للاستخدام في بنك الدم، وهناك إجراءات صارمة حول تنقية الدم وتخزينه. حققت الدعوة لمتبرعي الدم نجاحاً كبيراً في تأمين تبرعات بشكل منتظم، كما طُلب من عائلة فاتوماتا المساهمة أيضاً. يعتبر نقل الدم خدمة نادرة ومنقذة للحياة في أرياف مالي، ولكنه متوفر بالمجان في مشروع كوتيالا.

على طريق الشفاء خلال يومين

ما تزال فاتوماتا تعاني من الحمى، ولكن شفاءها المذهل كان من أسرع حالات الشفاء في المستشفى. ما تزال فاتوماتا تتناول الأدوية لمعالجة فقر الدم، كما قدم الفريق الطبي لأمها إرشادات لمنع إصابة فاتوماتا بالملاريا مرة أخرى، أو على الأقل، معرفة طريقة كشفها وعلاجها قبل أن تشتدّ. ■

لمعرفة المزيد عن فاتوماتا وغيرها من الأطفال، تفضلوا بزيارة: www.msf.org.au/childhealthmali

الصور: أليساندرو بينسو، أوريلي باوميل

طاقم أطباء بلا حدود في المُغترَب: **أوروبا**

قرار المغادرة الصعب

معبر إيدوميني للمهاجرين في اليونان، وهو طريق عبّدته خطى طالبي اللجوء في أوروبا.

انصبّ تركيز العالم على الأعداد الهائلة من اللاجئين النازحين من سوريا، وعلى ممرات الوصول إلى أوروبا وأمريكا وعلى سياسات الحكومات الخائفة من هذا التدفق. ولكن اتخاذ القرار بمغادرة البلاد والشعور بعدم وجود خيار من ترك الأحبة والرحيل، هو عبءٌ لا يعرف ثقله إلا اللاجئ وحده.

تم إجراء مقابلات مع أفراد طاقم منظمة أطباء بلا حدود الذي نزحوا من سوريا حول تجربتهم، وفيما يلي وصفٌ قدّمه كل من محمد، 21 عاماً، ومحمود، 30 عاماً، حول المشاعر التي رافقت تجربة النزوح بعد أن أصبحا الآن لاجئين في أوروبا. يبدأ محمد بالحديث عن الحاجة إلى ثلاثة أطباء فقط لتغطية كل الاحتياجات في أحد المراكز الصحية في حلب، ولكن حديثه يتغير ويقول أن لا أحد يبالي، معبراً بذلك عن حالة هذا العالم الغريب.

محمد، 21 عاماً، مساعد مدير مالي في منظمة أطباء بلا حدود

"أشعر بالذنب نوعاً ما لأنني تركت بلدي، وأشعر بالعار أيضاً. أشعر بالذنب لأننا بدأنا الحراك ولكننا لم نستطع إنهاءه، وما تزال الأحداث مستمرة داخل سوريا. لم نستطع إنهاء الحرب وغادرنا ببساطة، وهذا يشعرني بالذنب. أما شعوري بالعار فهو لأنني غادرت بينما الكثير من أصدقائي ما زالوا يعملون ويساعدون الناس في سوريا".

"الجميع يركزون على "أزمة اللاجئين"، ولكنها ليست أزمة بالنسبة لي، فقد عشت في سوريا منذ بداية الحرب قبل أن أغادر، لذلك أعرف معنى الأزمة تماماً. ما يحدث ليس أزمة وأعتقد أن ما يجب التركيز عليه هو الوضع داخل سوريا وليس على الأشخاص الذين يغادرون، لأنه مهما بلغت ظروفهم من الصعوبة، فهي لا تقارن أبداً بظروف من يعيشون داخل سوريا".

سياج بارتفاع ثلاثة أمتار تعلوه الأسلاك الشائكة، وهو يفصل مخيم اللاجئين المعروف باسم "الأدغال" في كاليه عن الطريق السريع.

محمود، 30 عاماً، طبيب طوارئ في منظمة أطباء بلا حدود، محافظة حلب

"لقد كان قرار مغادرة سوريا بالنسبة لي كطبيب صعباً للغاية، فعلى الرغم من صعوبة الوضع بسبب الحرب، إلا أنني كنت راضياً بوجودي في سوريا؛ كنت أشعر أنني أخدم بلدي وشعبي، فالناس لا يريدون مغادرة البلد مهما كانت الظروف، ولهذا كان قرار المغادرة صعباً جداً بالنسبة لي. وحتى الآن عندما أراجع ضميري أشعر بأنني تسرعت، وبأنه لم يكن علي المغادرة لأن عائلتي تحتاج إلي".

عندما كانت حلب ومحيطها تتعرض للقصف، وعندما كنا نعمل مع الفرق الطبية، كان أول ما نفعله هو أن نرفع أيدينا إلى السماء ونسلّم أمرنا لأننا ندرك أن الموت قد يأتي في أي لحظة. كنا نخاطر بحياتنا ونعلم أننا قد نتعرض للهجوم في أي وقت، وقد مات العديد من زملائي الأطباء الذين كانوا يعملون في أرياف حلب. ■

"كنت أشعر أنني أخدم بلدي وشعبي، فلا ينبغي أن يضطر سكان سوريا إلى مغادرة بلدهم."

الصور: سكوت هاملتون/أطباء بلا حدود

العراق: بين الأمم

اللاجئون في كردستان العراق

لم تكن قدمي قد وطأت أيّاً من مشاريع منظمة أطباء بلا حدود في الميدان قبل زيارتي إلى أربيل، كما أنني لم أكن قد رأيت مخيماً للاجئين قبل ذلك. لكن حين شاهدت الظروف التي يعيشونها وتحدثت إلى أولئك الذين يقطنون المخيم وأولئك الذين يساعدونهم، علمت حينها أنني أمر بتجربة جديدة.

مخيم كوارغوسك للاجئين.

سلافا وابنتها الصغرى في بيتهم في كوارغوسك. مع اللاجئين في جزيرة كوس اليونانية بينما ينتظرون الحصول على الأوراق الرسمية.

فيما تكاد الحرب في سوريا تنهي عامها الخامس، نجد إحصائيات وافية بأعداد الناس الذين يطلبون اللجوء في الخارج، لكن ماذا بشأن أولئك الذين طوتهم غياهب النسيان... تلك الأسر التي تعيش في مخيمات اللجوء... لقد نجوا من الصراع هذا صحيح ولو كان الأمر مؤقتاً، لكن ما الذي يخبئه لهم المستقبل؟

ذهبت إلى مخيم كوارغوسك الذي أنشئ سنة 2013 لاستقبال الأعداد الكبيرة من اللاجئين الفارين من العنف الدائر في سوريا. وكانت قد جرت مؤخراً أعمال ترميم لمساكن هذا المخيم لتحولها من مؤقتة إلى دائمة، وهذا يعني تحويل خيمة مؤقتة إلى بيت حقيقي قوامه الطوب والإسمنت. لقد كانت خطوة عملية في وجه الطقس البارد لكنها تعني أيضاً أن لا عودة قريباً إلى الوطن.

يقع مخيم كوارغوسك في منطقة سهلية تحيط بها الجبال التي ترعى فيها الماشية القادمة من المدينة القريبة التي تحمل الاسم ذاته، لكن هذه المراعي الخضراء الممتدة تخفي وجود المخيم.

وحينما كنت أسير في أرجاء هذا المخيم الذي يقطنه ما يربو عن 11 ألف إنسان، أكثر ما صدمني لم يكن الشعور بأنني غريب كما كنت متخيلاً إنما شعوري بأنني في مكان مألوف، فقد كان الأطفال في طريقهم إلى المدارس مبتسمين وهم يلقون التحيات علي. أما في باحات المدارس فقد كان الأطفال يبتدعون الألعاب، في حين كان المراهقون يلعبون كرة القدم ويتجاذبون أطراف الحديث.

كان الكثير من رجال المخيم يقضون أيامهم إما يعملون في الحقول أو المصالح القريبة أو يبحثون عن عمل. أما بعض الأسر فكان الرجال فيها غائبين لأنهم غادروا إلى أوروبا طلباً للجوء في سبيل إيجاد مكان آمن لعائلاتهم.

ومنظمة أطباء بلا حدود واحدةٌ من المنظمات القليلة التي توفر الرعاية النفسية في مخيمات اللاجئين في المنطقة. وقد سلط الطبيب النفسي الدكتور عبد الحليم الذي يعمل مع المنظمة الضوء على الصعوبات التي يواجهها الرجال الذين اعتادوا على تأمين قوت أسرتهم، إذ قال: "حين تجرد المرء من عمله فإنك تسلبه أحد معاني الحياة. معظم أولئك الذين يصلون إلى أوروبا إنما يبحثون عن عمل، لكن هذا يترك أسرهم في أوضاع هشة".

وخلال حديثي إلى فريق الصحة النفسية بدا جلياً أن المشاكل النفسية غالباً ما تترك وصمة عار ولهذا نجد الكثيرين ممن هم في حاجة إلى دعم نفسي يعزفون عن زيارة الأخصائيين. كما نجد أن النساء يشكلن نحو تسعين في المئة من مجمل المرضى النفسيين في مخيمات كوارغوسك وغاويلان ودار شكران. فهن من يقمن غالباً بإدارة حياة الأسرة ويعتنين بالأطفال والبيت ويضعن خططاً للمستقبل في ظل بيئة قاسية. وفي مكان مزدحم كهذا حيث تتلاصق الخيام نجد أن الخصوصية قد انعدمت ويمكن لأي جدال يحتدم بين أفراد أسرة ما أن يُسمع في الجوار.

في كوارغوسك قابلت سلافا وابنتيها ذات العامين والأربعة أعوام. كان زوجها يبحث عن عمل في أربيل. قدمت هذه العائلة من مدينة القامشلي في سوريا، وهم يقيمون في هذا المخيم منذ عامين. تركز سلافا حالها كحال أي أم على أطفالها وتقلق عليهم، فابنتها الكبرى مريضة منذ أكثر من عام لكنها تذهب إلى الروضة الموجودة في المخيم، لكن الأطفال الآخرين لا يعاملونها بلطف. رغم هذا تجد الأمهات صعوبة في التعامل مع هكذا أوضاع ضمن المخيم رغم أنها قد تبدو روتينية لو كانت في بيئة طبيعية. تبدو سلافا متوترة جداً وهي تتحدث عن المستقبل، فهي خائفة مما سيأتي وتراودها كوابيس عن العنف الذي رأته. ترغب سلافا بأن تحظى ابنتاها بحياة جيدة لكن تغيير الوضع القائم يبدو صعب المنال.

> "نجد أن النساء يشكلن نحو تسعين في المئة من مجمل المرضى النفسيين في مخيمات كوارغوسك وغاويلان ودار شكران."

الكثير من عاملي المنظمة الذين قابلتهم في أربيل لاجئون أو نازحون، ولهذا يتفهمون حاجةً الناس إلى ترك منازلهم والبدء بحياة جديدة. بعضهم لم يلتق بأسرته منذ وقت طويل جداً. أدهشني تعاطف هؤلاء العاملين مع المرضى وتفهم حالتهم، كما أدهشني إيمانهم بعملهم والأمل الذي ينبض فيهم. وقال لي الدكتور عبد الحليم: "أعتقد بأن كلاً منا قادر على تحقيق ما يصبو إليه وخدمة الإنسانية".

لا يزال النزاع في العراق مستمراً، لكن تفاقم الأوضاع في سوريا المجاورة قد زاد من حدة الأزمة الإنسانية في العرق لتصبح من أشد الأزمات التي تشهدها البلاد منذ عقود.

تبدو الأوضاع مستقرة في كردستان، إلا أن تزايد أعداد اللاجئين والنازحين في العراق قد يؤثر في هذا الاستقرار خاصةً في ظل التوترات التاريخية. ورغم كل ما نراه إلا أن المساعدات الإنسانية لا تكفي كما أنها توقفت في بعض الأحيان. ومع أن الماكينة الإعلامية الدولية تسلط أضواءها على أزمة اللاجئين وتزايد أعدادهم، إلا أنها فشلت في إلقاء بعض هذا الضوء على المصاعب والمخاوف التي يعيشها أولئك الموجودون في المخيمات. فهم أناس كغيرهم، اعتادوا على العمل لكسب قوتهم، واعتادوا على المساهمة في بناء مجتمعاتهم وإعالة أسرهم.

تعمل منظمة أطباء بلا حدود اليوم في 11 محافظة عراقية من أصل 19 محافظة، إذ تدير مشاريع في محافظات نينوى وأربيل ودهوك وكركوك والسليمانية وديالى وصلاح الدين وبغداد بالتعاون مع الهيئات الصحية المحلية. وخلال النصف الأول من عام 2015 أجرت فرق أطباء بلا حدود نحو 130,000 استشارة طبية في أنحاء البلاد. تعمل فرق المنظمة في مناطق أقرب ما يمكن إلى جبهات القتال حيث تكون الحاجة على أشدها.

سكوت هاملتون، أطباء بلا حدود. ■

الصور: يان ليبيسارت، ماتياس شتاينباخ، براين سوكول، سيباستيانو توماداا

ومضات من عام 2015

أحداث العام

أوبئة وحروب ونزاعات وكوارث طبيعية... لقد كان العام الماضي عام التحديات. أما بالنسبة لمنظمة أطباء بلا حدود فقد كان عام التحرك السريع والمستدام كي تنجح في توفير الرعاية الطبية أينما كانت الحاجة إليها ماسة، حيث عملت في أغلب الأحيان في مناطق خطيرة وتخطت كثيراً من العقبات كي تنجح في عملها. وفيما يلي نقدم لكم عينة صغيرة من الصور التي تعبر عن عام 2015 من وجهة نظر المنظمة.

عاملة طبية ضمن فريق أطباء بلا حدود ترتدي ملابسها ومعداتها الواقية تحضيراً لدخول المنطقة عالية الخطورة في كوناكري في غينيا، والتي شهدت أكبر وأعقد تفشٍّ لفيروس إيبولا في التاريخ امتد على نحو ١٨ شهراً في كل من غينيا وليبيريا وسيراليون.

معرض الصور

الصور: يان ليبيسارت، ماتياس شتاينباخ، براين سوكول، سيباستيانو توماداا

ضرب نبيال في أبريل/نيسان ومايو/أيار زلزالان مدمران لم يفصل بينهما سوى ثلاثة أسابيع. ونجحت فرق أطباء بلا حدود في التحرك وبدء أنشطتها بعد أيام معدودة من وقوع الزلزال الأول حيث قامت بتوفير الخدمات الطبية ومستلزمات الإيواء والطعام، وركزت جهودها على السكان الأضعف الذين يقطنون المناطق الجبلية النائية.

أب يحمل بين ذراعيه طفله الجريح في مستشفى وزارة الصحة الذي تدعمه منظمة أطباء بلا حدود في مدينة صعدة في اليمن، حيث أدى النزاع إلى وقوع إصابات جماعية وإلحاق أضرار بالبنى التحتية.

في ملكال الواقعة في جنوب السودان، نجد طاقم أطباء بلا حدود يستقل قارباً صغيراً يقدم من خلاله خدمات طبية متنقلة على امتداد ضفة النهر وصولاً إلى السكان المحرومين من الرعاية الصحية.

خلال عام 2015 خاطر عدد غير مسبوق من اللاجئين بحياتهم لعبور البحر الأبيض المتوسط طلباً للجوء في أوروبا. وقد نجحت المنظمة في إنقاذ أكثر من 20,000 شخص من براثن البحر بفضل عمليات بحث وإنقاذ امتدت على ثمانية أشهر.

Illustration: Jan Stoop/MSF

الصورة: يان ستوب، أطباء بلا حدود

INFOGRAPHIC

HOW IT WORKS: MOBILE CLINIC

رسم توضيحي

كيف تعمل العيادات المتنقلة؟

MSF's mobile clinics are used to reach people in need of medical attention who may have difficulty getting to a hospital. Comprised of a small and efficient team, the mobile clinics travel to several locations in a week, often over rough terrain. They utilise the best structures they can find to set up a safe and accessible clinic for the day. The photos below show an MSF mobile clinic team working in Erbil, Iraq.

تعمل العيادات المتنقلة لمنظمة أطباء بلا حدود على إيصال خدماتها إلى الأشخاص المحتاجين للاهتمام الطبي والذين يعانون من صعوبات في بلوغ المستشفى. وبطاقمها الصغير الفعّال، تسافر العيادات المتنقلة إلى أماكن متعددة كل أسبوع، وغالباً ما تكون التضاريس وعرة وقاسية. يقوم الطاقم باستعمال أفضل البنى المتوفرة لإقامة عيادة متنقلة مؤقتة، آمنة ويمكن الوصول إليها. الصور أدناه تظهر فريق إحدى العيادات المتنقلة العاملة في إربيل

UNDERSTANDING التفاهم

If there are international staff working with the team, or if they speak a different dialect or language to the patient, then a translator will assist them. This is important to make sure that the patient is comfortable and able to communicate.

إذا كان الطبيب قادماً من بلد آخر أو يتحدث بلهجة أو لغة مختلفة عن المريض يقوم عندئذ مترجم بمساعدته، وهذا أمر ضروري لضمان راحة المريض وقدرته على التواصل.

DIAGNOSIS التشخيص

The patient will then have a consultation with a doctor, during this time, the doctor will aim to give a diagnosis and prescription, but also to record the ailment of the patient, so that MSF has a better understanding of the health problems affecting the area.

يخضع المريض بعدها لجلسة استشارية مع الطبيب، يهدف الطبيب خلالها إلى توصيف الحالة ووصف الدواء المناسب، إضافة إلى تسجيل الحالة المرضية الأمر الذي يمكن منظمة أطباء بلا حدود من فهم أفضل للمشاكل الصحية في المنطقة.

MEDICATION الأدوية

The patient will take their prescription to the medicine dispenser, who will not only give them the medicine, but also instructions

يقوم المريض بإعطاء الوصفة الدوائية إلى الصيدلي الذي يعطيه الدواء الموصوف إضافة إلى التعليمات المتعلقة بالجرعات وأوقات تناولها والتأكد من فهم المريض لذلك.

NEWS الإعلام

MSF mobile clinics work with local communities to raise awareness, so a patient will often hear about them from their community centre or gathering.

تعمل العيادات المتنقلة لمنظمة أطباء بلا حدود مع المجتمعات المحلية لتعزيز الوعي، وبهذا غالباً ما يسمع المريض عن هذه العيادات من خلال مركز التجمع المحلي.

CHECK UP الفحص

When a patient arrives, they'll be registered and given a patient card for follow-up visits. They will have an assessment with a nurse who will perform various checks. This will facilitate the doctor's work. The nurse will also prioritise patients and carry out extra checks for children under five.

عندما يصل المرضى إلى العيادة المتنقلة لمنظمة أطباء بلا حدود يتم تسجيلهم وإعطاؤهم بطاقة مريض من أجل زيارات المراجعة. يقوم أحد الممرضين أو الممرضات بتقييم وضع المريض عبر إجراء فحوصات مختلفة كمستوى سكر الدم، وهو ما يسهل عمل الأطباء. كما يقوم الممرض بفرز المرضى حسب الأولوية وإجراء فحوصات إضافية للأطفال دون سن الخامسة.

ON THE ROAD

No mobile clinic can function without a vehicle and a driver who knows the roads. But the whole team is responsible for the administration and management of the clinic. Every morning they prepare the supplies and head to a specified location for the day.

على الطريق

لا تستطيع العيادة المتنقلة العمل دون سيارة وسائق يعرف الطريق، ولكن الطاقم كله مسؤول عن تأسيس وإدارة العيادة، حيث يقومون كل صباح بتحضير الإمدادات والتوجه إلى الموقع المحدد.